

## القراءة والكتاب

قال المتنبي في قديم الزمان: "وخير جليس في الزمان كتاب"، ما يعني أن الكتاب هو أفضل رفيق للإنسان، لأنه يسليه في غياب الأصدقاء، يمدّه بالأجوبة على الكثير من الأسئلة والتساؤلات التي تحير العقل، يزوده بالكثير من المعلومات والمعارف العلمية التي تفيد في حياته، ولا يثقل عليه أبداً. لكن استفادة أي إنسان من الكتاب تتطلب أن يكون الإنسان المعني قادراً على القراءة، وعلى فهم ما يقرأ من أشياء، لأن بعض الكتب تحتاج إلى خلفات ثقافية وعلمية لا تتوفر إلا للقليل من الناس. وهذا يعني أن هناك علاقة بين الكتاب والقدرة على القراءة، وبالتالي فإن وجود الكتب من دون قراء يحسنون القراءة ويرغبون في معرفة ما فيها يجعل الكتب بلا فائدة حقيقية، كما أن وجود قراء من دون كتب جيدة يحرم القراء من متعة القراءة والعلم الذي تحمله الكتب في طياتها.

إن عدم توفر كتب جيدة يقرأها الناس، يجعل تعلم فن القراءة والكتابة بلا معنى، لأن القراءة والكتابة أداة للحصول على معارف علمية وأفكار غير عادية موجودة أساساً في كتب ومجلات وجرائد، ووسائل أخرى حديثة مثل الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي. لهذا كان لا بد من وجود كتب يقرأها الناس ويتمتعوا بقراءتها حتى يتشجعوا على تعلم فن القراءة والكتابة وإتقانه. في المقابل، إذا انعدمت الرغبة في القراءة أو ضعفت كثيراً، فإن الرغبة في تأليف الكتب تفقد الكثير من زخمها، لأن الكتاب لن يجد من ينتظره كي يقرأه ويتمتع به، ويستفيد منه. وهذا يعني أن الإقبال على القراءة يشجع على كتابة الكتب ونشرها، وإن كتابة الكتب ونشرها تشجع عادة على القراءة والكتابة. لكن الوضع في العالم العربي يشير إلى أن الكتابة والنشر لا تقود بالضرورة إلى زيادة عدد القراء، ما يعني أن العرب لا ينظرون إلى الكتاب باعتباره مصدر متعة وفائدة وعلم كغالبية شعوب العالم.

هناك عدة أسباب لشيوع ظاهرة عدم القراءة بين العرب، قد يكون أهمها وصول الراديو والتلفزيون إلى العالم العربي في فترة حرجة من تاريخ العرب الحضاري، شهدت ارتفاع نسبة الأمية كثيراً، ما جعل الأميين يرون في الكلمة المسموعة والصورة المرئية بديلاً جيداً للكلمة المقروءة. من ناحية ثانية، يتصف نظام التعليم المدرسي في الدول العربية عامة بالتركيز على الحفظ والنقل والتلقين، ما يجعله لا يرى أهمية أو حتى ضرورة لتشجيع طالب المدرسة والجامعة على قراءة كتب عامة خارج موضوع التخصص. وفي الواقع، أصبح من الممكن أن يجتاز طالب جامعي جميع مراحل الدراسة الجامعية، بما في ذلك الدراسة العليا والحصول على أعلى الدرجات العملية من دون أن يقرأ كتاباً واحداً. ولما كانت الكلمة المسموعة

معرضة بطبيعتها إلى النسيان والمبالغة والتحريف والتزييف، وأن الصورة المرئية معرضة دوماً للتمويه، فإن حصول الناس على المعلومة الصحيحة والحقيقة العلمية أصبح صعباً في غياب القراءة والكتاب. ولهذا أصبحت الغلبة العظمى من خريجي المدارس الثانوية والجامعات تعاني أمية ثقافية وعلمية وتكنولوجية، وفهم خاطئ لغالبية الأمور الحياتية، من الاقتصاد إلى السياسة، ومن القضايا الصحية إلى القضايا الثقافية. وهذا يجعل الأمل في تحرر المجتمعات العربية من الجهل والتخلف في ظل الأوضاع الحالية نوعاً من الخيال الذي يبتعد عن الحقيقة ويقترّب من الوهم مع كل يوم يمر.

ومع أن التلفزيون وسيلة للتسلية والترفيه عن النفس ومصدر رئيسي للمعلومات، إلا أنه لا يقوم بهذا الدور بأمانة في معظم الحالات والأحيان. ويعود السبب في ذلك إلى اتجاه القائمين على المحطات التلفزيونية عامة إلى تصميم برامج تستهدف تزييف وعي المشاهدين وتلوّث عقولهم، خاصة الأطفال والشباب، ودفعهم إلى ممارسة عادات سيئة مثل التدخين والادمان على الكحول والمخدرات. وفي ضوء سيطرة رأس المال على معظم قنوات التلفزيون في العالم العربي، فإن الريح المادي، وليس خدمة الصالح العام، أصبح هو الهدف الأول لمالكي المحطات التلفزيونية، ما جعل برامج العنف والجريمة هي الأكثر رواجاً لكونها الأكثر جاذبية بالنسبة للمشاهد والمعلن على السواء. وهذا يتسبب اليوم في شيوع ظاهرة العنف، واتجاه البعض من الناس إلى احتراف الجريمة، ما يعني أن التلفزيون يقوم بالعمل على تشويه ثقافة المجتمع، وتزييف وعي الناس، وتلوّث عقول الأطفال والشباب، واستهلاك جزء من مال الإنسان في أشياء تعود عليه غالباً بالضرر وإضاعة الوقت.